The Semiotics of Damascus City

Kawthar Abou Assaf •

(Received 22 / 10 / 2019. Accepted 3 / 12 / 2019)

□ ABSTRACT □

This study seeks to analyze the symbolic content of Damascus as a city, applying the descriptive, analytical and semiotic methodology in order to decode its signifiers phenomenologically, transcending the apparent towards the thing in itself.

The importance of the study lies in the desire to reach a different semiotic discourse, with clear terms and symbolic structure, along with the accumulated signs steeped in social origins, contrary to previous studies which saw in the city as only a realm of stones and humans, let alone buildings .The study also relied on analysis, contrary to previous interpretations, which focused on quantity rather than quality

This study has concluded that the more spacious the pavement is the stronger the sense of citizenship will be, and vice versa. The pavement is a public sphere which hosts the citizen. However, the designer of the city and the violations of laws have established the power of the useful and discarded the aesthetics of the public sphere.

Accordingly, the car is given more prominence in the public sphere than the humans. As for the advertisement and its several images, the advertiser seeks to construct a special building rich with expressive traits in order to convey a specific message capable of leaving an impact in terms of consumption and achieving quick and easy profits.

• – Master (Media and Communication) – Radio and Television Department – Faculty of Information – Damascus University – Damascus – Syria.

سيميائية دمشق المدينة

كوثر أبوعساف •

(تاريخ الإيداع 22 / 10 / 2019. قبل للنشر في 3 / 12 / 2019)

□ ملخّص □

تسعى هذه الدراسة للتوصل إلى المحتوى الدلالي لمدينة دمشق بالاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي السيميائي ، بهدف التمكن من قراءتها قراءة فينومولوجيا تبحث عن الدلالة في الظاهر توسلا للشيء عينه . وتبرز أهمية الدارسة من خلال التوصل إلى خطاب سيميائي مختلف للمدينة له لغته الخاصة، ويشيد أنسجتها الرمزية وما تراكم فيها من علامات لها أصول اجتماعية بخلاف ما هو سائد في الأبحاث التي لا ترى في المدينة إلا بشرا و حجرا، وما شيد فيها من أبنية. واعتمد ت الدراسة على عناصر في التحليل بخلاف أيضا ما هو مألوف في الدراسات التي كانت مقارباتها أقرب إلى الكم منها إلى الكيف، فالحديث يصعب عن حياة مدينية من دون تناول حياة الناس في الرصيف وقراءة الصورة في الإشهار وما تبثه من رسائل، ومن دون السيارة أيضا يتغير المشهد الحضري.

قسمنا الدراسة إلى قسمين نظري تضمن: تعريف السيمياء وخصائص العلامة عند سوسير و ثنائياته وبنية الصورة والفضاء الإشهاري وعملي تضمن: تحليل العلامة الأيقونية واللسانية للعناصرالتي اعتمدناها في التحليل بالاستناد إلى نظريات (فرديناند دوسيوسير) و(رولان بارت) و(أمبرتو إيكو).. وتوصلت الدراسة إلى أنه بقدر ما يتكثف الرصيف بقدر ما تتكثف معنى المواطنة، وبقدر ما يتقلص حيزه بقدر ما تتقلص قيمة المواطنة.

الرصيف مجال عام يستوعب المواطن لكن مصمم المدينة و تجاوزات القوانين كرَّسا النفعي ولم يراعيا ما هو عام، وضمن هذه الفعالية الأداتية يسند إلى السيارة ما لا يسند إلى البشر في الحيز العام، أما في الإشهار وصوره يعمد المُعلن إلى إشادة بناء خاص تتضافر فيه مكوناته التعبيرية بقصد تبليغ رسالة محددة للتأثير بكل الوسائل لغاية الاستهلاك وتحقيق أرباح سريعة وسهلة .

• **ماجستير(الإعلام والاتصال)–قسم الاذاعة والتلفزيون– كلية الاعلام– جامعة دمشق– دمشق– سورية.**

مقدمة:

يتعامل الانسان في الفضاء بقدر ما يتعامل مع الزمن ، بما يحتويه من أشياء ، أشخاص وأفعال تنتظم داخله ، ومن أبرز ما يحتويه الفضاء هو الأمكنة الهندسية بحيث يبرز سكن الفضاء كنمط لتواجد الانسان في هذا الامتداد متعلقا مع مركبات اجتماعية، ثقافية، دينية... تعطي هذا الفضاء رمزية ومعنى لصيق بطبيعة هذا الانسان، وهذا ما تبحث عنه سيميائية الفضاء. بحيث ترتكز على استنطاق دلالات العالم دون إهمال الانسان الذي يشغل هذا الفضاء ويضفي عليه تحولات تقترن بسياقاته وقيمه وتصوراته النفسية، الاجتماعية والثقافية المختلفة، فالقراءة السيميائية للبنية الفضائية تقودنا إلى دراسة الفضاء دراسة دلالية وتجاوز النظرة السطحية لمحتوياته المادية ومعطياته الجغرافية إلى الكشف عن القوانين التي تحكم مجموعة علاماته داخل التركيب المكاني الذي يؤسس الفضاء المكاني ككل و كل ما يتعلق بتصرفات الانسان و إنتاجاته و أفعاله.

ومن بين هذه الانتاجات نجد البناءات المعمارية والمدن التي تعتبر وسيلة تعبيرية تحمل جملة من الرموز والمصطلحات المتعددة المعاني، فقد حاول الانسان منذ القدم تطويع مختلف التصميمات المعمارية بما يتوافق و هويته و معتقداته، وذلك بما تحويه هذه الانتاجات المعمارية من معاني و دلالات لمفرداتها التي تعود لماهيات مادية تقدم في شكل رموز و علامات باعتبارها عناصر ضمن أنساق سيميائية يعد الإدراك البصري هو بؤرة تجلياتها.

إشكالية البحث:

لعل ما يوجه تفكيرنا نحو البحث والتأمل في مختلف الأبعاد الدلالية الرمزية المنضوية تحت الأشكال الهندسية لهذا النمط المعماري ومن ثمة كشف الستار عن مختلف التضمينات ذات الأبعاد الثقافية والحضارية ويتحقق هذا من خلال هذه الدراسة سنحاول ترصد الدلالات الرمزية في زوايا العمارة الشامية(دمشق) و استنطاقها وهو الشيء الذي يدفعنا إلى طرح التساؤل الآتي: ما هي الأبعاد الدلالية الرمزية الاجتماعية لعادات الناس في مدينة دمشق؟

أهمية البحث وأهدافه:

تبرز أهمية الدارسة من خلال التوصل إلى خطاب سيميائي مختلف للمدينة له لغته الخاصة، ويشيد أنسجتها الرمزية وما تراكم فيها من علامات لها أصول اجتماعية بخلاف ما هو سائد في الأبحاث التي لا ترى في المدينة إلا بشرا و حجرا، وما شيد فيها من أبنية. ويهدف البحث إلى التالي:

للتوصل إلى المحتوى الدلالي لمدينة دمشق بالاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي السيميائي ، بهدف التمكن من قراءتها قراءة فينومولوجيا.

منهجية البحث:

تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي.

تعريف السيمياء:

عُرّفت السيمياء بحسب من تمثلوها بدءا من الرواقيين وحتى الوقت الحاضر بأنها "نظرية العلامات أو العلم الذي يبحث ويدرس العلامات"*، وأول إشارة بيّنة إلى مصطلح السيمياء وردت في مؤلف الفيلسوف الانكليزي (جون لوك)[1] (John Locke) عام 1690 الذي عدها فرعاً من فروع الفلسفة، لكن الاتفاق على الأصل الإبستمولوجي للسيمياء وتعريفها لم يجعلها بمنأى عن فوضى المصطلحات كغيرها من العلوم فهي: "(sematalogy، semeiotics، semilogy، semoties) في اللغتين الفرنسية والانكليزية، وفي العربية هي السيمياء والسميا وعلم الدلالة والدلائلية وعلم الإشارات وعلم الرموز والعلامات ونظرية الإشارة العلامية والسيمولوجيا والسيموطيقا وعلم الرموز"[2]. وإذا افترضنا أن الترجمة إلى اللغة العربية تشكل سبباً من الأسباب التي تقف وراء هذه الفوضى، فإن تعدد المصطلحات في اللغات الأجنبية يعود إلى"الإغراءات التي يخضع لها السيميائيون أكثر من سواهم، إغراء المصطلحات واستعمال الرموز المنطقية واستخدام الأشكال والمخططات التوضيحية"[3]. ويتحمل الباحثون في حقل السيمياء قسطا كبيرا من فوضى الاصطلاحات والتي أثرت سلباً على انتشار مذهبهم كما يقول (جورج مونان)[4] (J.Mounin)، إضافة إلى أسباب أخرى حددها (مونان) متمثلة بالانعزالية المعرفية قارّياً واختلاف المدارس والمصطلحات التي جعلت من السيميائية تحتل الصدارة في إشكاليات القرن الماضي، حيث أثيرت مناقشات واسعة حول التسمية سيميولوجيا (somiology) أم سيموطيقا (Semitic)، الأولى اقترحها وأطلقها الألسني السويسري (فرديناند دوسوسير) (Ferdinand Des Saussure) 1839- 1914 وأصبحت مصطلحاً أساسياً في الثقافة الفرنسية، والثانية وضعها الفيلسوف الأمريكي (تشارلز سان درس بيرس) (Charles Sanders Pierces) 1894- 1916 ويفضلها السيميائيون الروس والإيطاليون.

ويرجع وضع (سوسير) (Saussure) مصطلح سيمولوجيا (semioliogie) إلى مخطوطة كتبها في العام 1894، وجاء في كتابه (دروس في الألسنية العامة) الذي نشر في العام 1916 بعد وفاته الآتي :"يمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة العلامات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام وسأطلق عليه علم العلامات (somiology)، ويوضح علم العلامات ماهية مقومات العلامات والقواعد التي تتحكم فيها. ولما كان هذا العلم لم يظهر إلى الوجود إلى الآن لا يمكن التكهن بطبيعته وماهيته ولكن له حق الظهور إلى الوجود، فعلم اللغة هو جزء من علم العلامات العام، والقواعد التي يكتشفها هذا العلم يمكن تطبيقها على

*** للمزيد يرجى الرجوع إلى دانيال تشاندلر، ترجمة: شاكرعبد الحميد، *معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات*، (القاهرة، أكاديمية الفنون، 2002) ، ص195.**

[1]- سعيدة كحيل، *(رسالة في العقل البشري) مقاربة سيميائية في ترجمة الخطاب الاشهاري*، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد 456، نيسان 2009، ص 55، وأيضاً بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، *علم الإشارات والسيمولوجيا*، (دمشق، دار طلا س للدراسة والنشر، 1992) ، ص10.

[2]- رجاء أحمد عبد الها دي آل بهيش، *سيمياء الخطاب الدعائي*، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب ،قسم الإعلام، 1998).ص23.

[3]- روبرت شولز، ترجمة: سعيد الغانمي، السيمياء والتأويل، ط1، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994)، ص 16.

[4] -Georges Mounin ,*Dictionaries de la lingusistique*,p.u.7,paris.p.313.

علم اللغة، ويحتل العلم الأخير مكانة محددة بين كتلة الحقائق الأنثروبولوجية"[5]. وقد تبنت المدرسة البنيوية في فرنسا مصطلح سيمولوجيا ويمكن أن نذكر (كلود ليفي شتراوس) في مجال الأنتروبولوجيا، و(رولان بارت) و(جوليا كريستفيا) في مجال سيمياء الدلالة والأدب، و(جورج مونان) في اللسانيات وسيمياء التواصل. واستناداً إلى (سوسير) يوجز (مونان) تعريف السيمولوجيا "بأنها العلم العام الذي يدرس كل أنظمة الرموز اللغوية وغير اللغوية التي بفضلها يتم التواصل البشري"[6]، كما يشير في مواضع أخرى إلى أن السيمولوجيا وسيلة عمل أي منهج من مناهج البحث، أما عن ميادين هذا العلم فيقول (مونان) على سبيل المثال لا الحصر إنه يشمل: "الكتابة وأبجدية الصم والبكم والإشارات العسكرية والبحرية، إضافة إلى اللغة وامتداداً إلى الطقوس الرمزية وأساليب اللياقة والإيماءات والعادات"[7]. وإلى مثل هذا الرأي يذهب (بارت) أيضاً حيث وقف على أرض صلبة في تبنيه تعريف (سوسير) للسيميولوجيا وتكراره في العديد من مؤلفاته*، على الرغم من معارضته للمفهوم السوسيري بأن علم اللغة جزء من السيمولوجيا منطلقا من عدم إمكانية الدلالة خارج اللسان والتأكيد بأن السيميولوجيا أحد فروع الألسنية وتشمل أنظمة أخرى مثل الأساطير واللباس والديكورات المنزلية، وهذه الأنساق التواصلية لا نستطيع دراستها إلا في إطار اللسان؛ في حين اعتمد المفكر الفرنسي (بيير جيرو) (Pierre Guiraud) في مؤلفاته المقولات السيميولوجية الأساسية التي أتى بها (سوسير) وتبنى تعريف السيمياء بأنها: "دراسة الأنساق الإشارية غير اللغوية"[8].

وعلى الجهة الأخرى من الأطلسي والذي نهلت منه نظرية العلامات فكان فكر(بيرس) الذي ذهب بعيدا في التركيز على الطابع المنطقي الصوري المجرد للعلامة، وعلى دورها في تحليل الوجود وتنظيمه عبر المعرفة. وبالتالي فإن حقل الدراسة الذي يسميه (بيرس) السيميائية هو الدستور الشكلاني للعلامات ما يقربها من المنطق حيث يقول "السيموطيقا نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات التي بعرف المنطق علم القوانين الضرورية للعلامات"[9]. ويبدأ المنطق عند (بيرس) من تعريفات وتقسيمات تدور حول الوظائف الخاصة بالعلامات، حيث يقسم المنطق إلى ثلاثة أقسام تغطي الدلالات الأساسية للعلامة أي جهة الدلالة، والشيء الذي يدل عليه، والشخص الذي يفهم هذه الدلالة.

أما بالنسبة لتعريب المصطلح تكاد تكون السيميائية المصطلح الأكثر انتشاراً في الأدبيات العربية، شاع استخدام السيميائية نسبة إلى السيمياء والتي تعني في العربية العلامة كمصطلح مقابل للسيميولوجيا والسيميوطيقا، فهو مشتق من الفعل "سوم والسومة والسوم علامة تجعل في الحرب، واتخذ سومة أي علامة وسوم والسومة بضم السّين والسيم

---

[5]– فرديناند دو(سوسير)، ترجمة : يوسف غازي ،مجيد النصير، *محاضرات في الألسنية العامة*، ط1(.بيروت، دار نعمان، 1884)، ص 27. (نود أن نشير هنا إلى الاعتراضات الكثيرة على هذه الترجمة وبخاصة على المصطلح المقترح لسيميولوجيا وهو (الاعتراضية) والتركيز على دراسة الأعراض من ناحية طبية والابتعاد عن الرمز الذي هو جوهر العلم للمزيد يرجى الرجوع إلى: أنطون طعمه، السيمولوجيا والأدب، مقاربة سيميولوجية للقصة الحديثة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، آذار 1996، ص 232.

[6] – Georges Mounin ,*Introduction a LaSemiologie*–Ed.de Minuit–paris–1970p.11.

[7]– *المرجع نفسه* ، ص 207.

*** للمزيد يرجى الرجوع إلى رولان بارت، ترجمة: منذر عياشي، *هسهسة اللغة*، ، ط1، (حلب، مركز الإنماء والحضارة، 1999)، ص245.**

[8]– بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، *علم الإشارة السيميولوجيا*، مرجع سابق ،ص9.

[9]– Charles Sanders Peirce, *Collected Papers of Charles Sanders Peirce*, 8(4) vols.(Cambridge: Harvard University Press,1931–1958), p 2.227

نقلا عن: دانيال تشاندلر ، ترجمة: طلال وهبة، *أسس السيميائية*، ط1، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2008) ، ص30.

والسيمة والسيما والسيمياء والسيما والسمي بكسرها العلامة والهيئة"*، والسوم علامة "تجعل في الحرب للفارس والفرس، وسوم الفرس أعلمه بسومة"[10]، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم بهذا المعنى كما في قوله تعالى (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)*، (وتعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا)*، والسيما هنا كما يقول الفراهيدي هي (العلامة التي يعرف بها الخير والشر)*، (وعلى الأعراف رجالا يعرفون بسيماهم)*. كما أن التراث العربي قد عرف (السيميا، السيماء، السيمياء) كمصطلحات مقترنة بعلم أسرار الحروف والفراسة والسحر والكيمياء التي ازدهرت في القرون الوسطى، فـ (ابن خلدون) في مقدمته يذكر أن السيميا والسيمياء في حقل اصطلاحي واحد فالسيمياء "علم أسرار الحروف وهو من تفاريع السيمياء"[11] الذي يشمل الكيمياء وتحويل العناصر غير الثمينة إلى عناصر ثمينة.

خصائص العلامة عند سوسير و ثنائياته:

لا يزال الإنسان منذ أقدم العصور وحتى أيامنا هذه يقرأ الكون والعالم المحيط به من خلال العلامات والإشارات، ويعّبر عن قراءاته من خلال أنظمة مختلفة من تلك العلامات سواء، كانت لغة، أو رسماً، أو رموزاً، أو صوراً، أو رائحة، أو سلوكاً، أو أيَّ شيء آخر يحمل في مضمونه معنى الدلالة، فالعالم مليء بالعلامات ونحن "لا نفكر إلا بواسطتها "حسب رأي (بيرس)[12]، "يجب قراءتها وتكوين أنساقها" باعتقاد (بارت)[13] (Barthes). وإذا كان الإنسان البدائي قد استعمل أقل عدد من العلامات الطبيعية لفهم الكون المحيط به، فإن الإنسان المعاصر مع تطور عوالم العلامة وأنظمتها، أي الأنظمة السيميائية المبنية على الاستناد والتمفصل والارتكاز وتعقدها، أضحى "سجين الكون العلامي بل صار من دون أن يدري علامةً وسط علاماتٍ أخرى"[14] تقوم مقام الأشياء وتنوب عنها فالإنسان ابتدع العلامات في البدء لتسهيل عملية الاتصال والاستعاضة عنها بالأشياء ما لبثت أن نالت منه واحتلت مكانه، كما حصل مع أبطال (غوغول) في روايتي (يوميات مجنون) و(صليب القديس فلاديمير) الذين باتوا يعيشون في عالم تحل فيه العلامات الاجتماعية محل الإنسان، وتبتلع نزعاته البسيطة والطبيعية إلى درجة أن "البطل يتحول إلى مجنون عندما يدرك أنه تحول إلى وسام"[15].، في حين تحول الحذاء في مسرح بريخت إلى علامة اجتماعية تدل على البؤس، وعندما أراد (فوربيه) قلب النظام المتحضر، تصور "جسدا لإسكافي يلتهب"[16].

وتتميز العلامة اللغوية عند (سوسير) بخصائص عدة هي:

*** بخصوص اشتقاق السيمياء يرجى الرجوع إلى: لويس معلوف، *منجد الطلاب*، ط35، (بيروت، دار المشرق،1960)، ص 365.**

[10]– *المرجع نفسه*، ص365.

*** القرآن الكريم ، *سورة الفتح*، الآية 29.**

*** القرآن الكريم، *سورة البقرة*، الآية 273.**

*** آل بهيش، سيمياء الخطاب الدعائي، *مرجع سابق*، ص28.**

*** القرآن الكريم، *سورة الأعراف*، الآية 46.**

[11]– ابن خلدون، *المقدمة، تاريخ العلامة ابن خلدون*، (دار الكتاب اللبناني، م1، ق4 ، 1956)، ص 912.

[12]– دانيال تشاندلر، ترجمة: طلال وهبة، *أسس السيميائية*، مرجع سابق ، ص 45.

[13] – محسن بوعزيزي، *السيميولوجيا الاجتماعية*، ط1، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010) ص 87.

[14]– مقدمة المترجم، امبرتو ايكو، ترجمة: أحمد الصمعي، *السيميائية وفلسفة اللغة*، ط1، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005) ص13.

[15]– *المرجع نفسه* ، ص6.

[16]– رولان، بارت، ترجمة: منذر عياشي، هسهسة اللغة، *مرجع سابق*،ص313.

1- اللغة نظام علامات :

اللغة في نظر سوسير ليست إلا " نظاماً من العلامات التي تعبر عن الأفكار"[17]؛ التي لا وجود لها من دون وجود العلامات، ويستند هذا النظام لديه على فكرة أنه لا توجد في اللغة سوى الفروق والتقابلات الوظيفية و"ما يميز العلامة في اللغة وأي منظومة سيميولوجية هو الذي يكونها"[18]، فلا يمكن أن توجد منظومة أو نظام يتكون من عنصر واحد، لأن هذا العنصر يمكن أن يطلق على أي شيء من دون أن يفرق شيئا، ولابد من عنصر آخر على الأقل لتحديد الأول.

2- **الدال والمدلول:**

في ثنائية (سوسير) تتخذ العلامة اللغوية كيانا ثنائي المبنى، لا يربط بين الشيء واسمه، ولكن يربط بين الصوت والفكرة أو الدال (signifier) والمدلول (signified). وبالنسبة إلى (سوسير) فإن الصلة بين الدال والمدلول وثيقة ولا يفترقان كوجهي ورقة و"يستدعي كل واحد منهما الآخر"[19]. وكلاهما مترابطان ومتحدان وهذا المزج بينهما هو أساس العلامة اللغوية حيث يمثلان الشكل وليس الجوهر أو المادة وبمعنى آخر" العلامة اللغوية لا تجمع بين الشيء والاسم، بل تجمع بين المفهوم والصورة السمعية"*. والشكل الآتي يوضح مفهوم (سوسير) للعلامة:

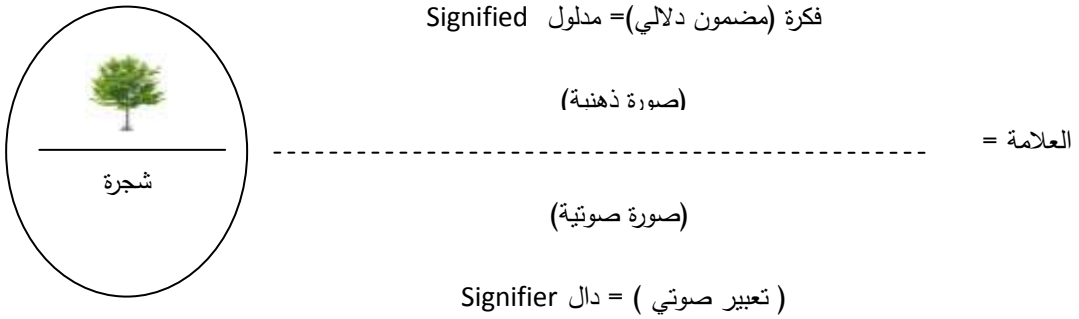

الشكل (1)- مفهوم العلامة عند (سوسير)

3- **الطبيعية الاعتباطية للعلامة:**

بحسب (سوسير) "موضوع السيمولوجيا يتكون من مجموعة من الأنساق ذات الصلة الاعتباطية"[20] ومبدأ الاعتباطية هو المعيار الأساس الذي يتم من خلاله تصنيف الظواهر وفهمها، ولا يقتصر هذا المبدأ فقط على الدال والمدلول، بل إن النظام اللغوي بأكمله يستند إلى هذا المبدأ غير المنطقي "فلا يوجد ارتباط فطري أو بديهي بين

---

[17]- دو فرديناند (سوسير)، محاضرات في الألسنية العامة، *مرجع سابق*، ص137.

[18]- دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، *مرجع سابق* ،ص56.

[19]- دانيال تشا ندلر، أسس السيميائية، *مرجع سابق*، ص51.

*** بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي ،*علم الدلالة*، (دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1992)، ص 29 ، 39.**

[20]- سعيد بنكراد، *السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها* ، ط2، (اللاذقية، دار الحوار، 2005)، ص 115.

الدال والمدلول، بل إن اللغة منظومة علامات اعتباطية."[21] و"العلامة اللسانية اعتباطية"[22]، وتعني اعتباطية العلامة "أن دالها ليس له صلة طبيعية بالمدلول فكل مدلول يمكن أن يعبر عنه باستخدام أي دال"* ويتوجب علينا هنا أن نميز بين اعتباطية العلامة اللسانية، عن العلامات السيميائية الأخرى غير اللسانية (اللغوية) ، كما هو الحال للصور البصرية أو الصوتية (صورة فوتوغرافية)، (ضجيج) ومثلا أن تكون إشارات المرور إما اعتباطية (الأضواء الثلاثة: أخضر، أحمر، أصفر) أو معللة كما في الإشارات الآتي:

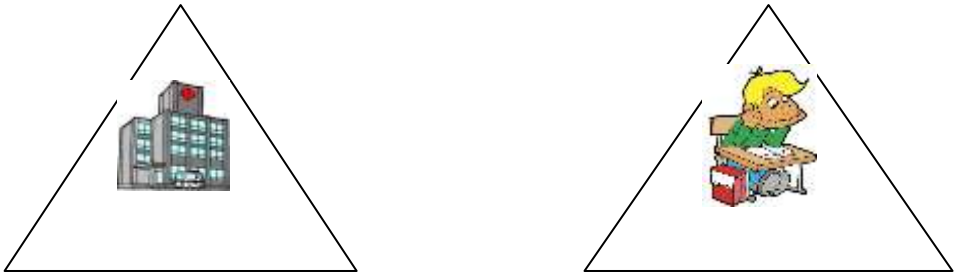

الشكل (2) . إشارات المرور المعللة

4- الطبيعة الخطية للدال:

إن الدال يتميز بهذه الخاصية التنظيمية عبر الزمن والذي يفرضه كون اللغة المنطوقة تحتل المرتبة الأولى بالنسبة للغة المكتوبة، ويمكّننا التسلسل الخطي الذي لا تقل أهميته عن أهمية اعتباطية العلامة من تحديد نوعين من الأنظمة السيميائية : الأنظمة التي تقع دوالها في الزمان (الدال السمعي عند (سوسير) وله بعد زمني واحد (كالموسيقا واللغة المنطوقة)، والأنظمة التي تنتظم وحداتها حسب الفضاء (الدال البصري) الذي يوفر إمكانية قيام مجموعات على أبعاد عدة (كالرسم والصور الفوتوغرافية و إشارات الملاحة) أي أنها تشكل سلسلة*.

5- الطابع المميز للعلامة:

إن العلامة بوصفها "كيانا لغويا يستمد وجوده من الارتباط بين الدال والمدلول"[23]، تتصف أيضا بأنها وحدة مميزة، "تتميز عما يسبقها وعما يليها في السلسلة المنطوق بها بأنها دال الفكرة المعينة"[24]، فهي في الوقت الذي ترتبط فيه مع بعضها البعض ارتباطاً نظامياً في (النظام اللغوي)، إلا أنها تتميز عن بعضها وتكون قابلة للاستبدال، وهذه الخاصية تجعل العلامة اللغوية في علاقة تقابلية مع الوحدات الأخرى، إلا أنها بالرغم من تقابلها مع الوحدات الأخرى، تبقى

---

[21]- دو فرديناند، (سوسير)، *محاضرات في الألسنية العامة*، مرجع سابق، ص 95.

[22]- *المرجع نفسه*، ص 89.

*** هناك علاقة اعتباطية وغير منطقية أو طبيعية بين الدال والمدلول و بين الكلمة والمفهوم حيث يقدم (سوسير) مثال الصيني الذي ينحني أمام إمبراطوره تسع مرات تعبيراً عن الاحترام والتبجيل. وفي تصور (سوسير) فإن القيمة التعبيرية لهذا الفعل لا تكمن في عدد الانحناءات ذاتها بل في الاستعمال الاجتماعي له لذلك فإن الإيماءات محكومة بمبدأ الاعتباطية. للمزيد يرجى الرجوع إلى سعيد بنكراد، السيمياء مفاهيمها وتطبيقاتها، *مرجع سابق*، ص 153.**

*** للمزيد يرجى الرجوع إلى: جيرار دو لودال، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، *السيميائيات أو نظرية العلامات*، ط1، (اللاذقية . دار الحوار . 2004) ص 60، 61.**

[23]- آل بهيش، *مرجع سابق*، ص 40.

[24]- *المرجع نفسه*، ص 40.

منفصلة عنها في سلسلة الكلام ، وإن حدث تقارب بعض الدوال بالبعض الآخر فإن ذلك لا يصل إلى حد الذوبان. ولما كانت علاقات العلامات أي قيمها ذات أهمية للنظام اللغوي فقط، فإن الصفات النظامية (العلاقات) والصفات غير النظامية (التي لا ترتبط بالنظام اللغوي) مستقل بعضها عن بعض، فهي لا ترتبط بعضها ببعض ولا يؤثر بعضها في بعض. لذا فالعلامات متميزة فيما بينها وليست مختلفة.

6- التمفصل المزدوج:

وتعد هذه الصفة الأساسية للعلامة في تميز اللسان البشري عن بقية أنظمة الاتصال الأخرى، وهي مشتركة بين اللغات كافة، ويعني التمفصل أو التقطيع المزدوج أن اللغة "تتألف من عناصر دالة تنتمي إلى التمفصل الأول (المونيمات)، أو العلامات حسب (بريتو) (Prieto)، والتي تفيد في تأليف المركبات، وعناصر التمفصل الأول هذه يمكن تفكيكها لاحقا للحصول على عناصر التمفصل الثاني الفونيمات أو الأشكال"[25]. ويمكن القول إن إنتاج الدلالة يتم بواسطة التأليف بين هذين النوعين من العناصر، لكن لا شيء يفرض أن يخضع إنتاج الدلالة في الأنساق العلامية كلها لهذا المبدأ، وبالمقابل يذهب (ليفي شتراوس) إلى أنه لا مجال للحديث عن اللغة إذا لم يتحقق هذان الشرطان "فمن دون تمفصل مزدوج لا وجود للغة"[26].

ثنائيات سوسير :

تشكل العلامة اللغوية في الفكر السوسيري، موقعا مهما في ثنائياته اللسانية الشهيرة التي تشكل في رأي الكثير من الباحثين في الدلالة المعرفة الأولى التي أنبتت عليها السيمائيات، والاتجاهات البنيوية والقائمة على العلاقة بين الشيفرة (Codes) وتأديتها، ويميز (سوسير) بوضوح بين (اللغة والكلام) "فاللغة منظومة القواعد والاصطلاحات المستقلة عند الأفراد الذين يستعملونها وتوجد قبلهم"[27]. أما "الكلام فهو مرتبط باللغة وسابق عليها إلى مرحلة التعقيد والمعاجم وهو الأساس"[28]. والصلة بين الكلام واللغة تفاعلية فهي تضغط عليها بأنظمتها، وهو يضغط عليها بالابتكار، وكل منهما يستمد قوته من الآخر مع أنهما متعارضان كل منهما هدف محدد أو كما يقول (سوسير): "إن هذين الهدفين مرتبطان ويستلزم أحدهما الأخر فاللغة ضرورية حتى يصبح الكلام مفهوما وواضحا ومؤثرا كل التأثير غير أنه لازم لتأسيها وإن لواقعة الكلام تاريخيا السبق دائما"[29].

وإلا فكيف يمكننا أن ننتبه لربط فكرة ما بصورة شبيهة إذا لم نكتشف هذا الترابط أولاً: في فعل مثل الكلام، وأن نتعلم من جهة أخرى اللغة الأم من خلال إصغائنا للآخرين فهي لا ترتسم في دماغنا إلا بعد تجارب عدة، ثم إن الكلام هو الذي يطور اللغة وإن الانطباعات التي نستقبلها عبر سماعنا الآخرين هي التي تغير عادتنا الألسنية، فثمة إذا ترابط بين اللغة والكلام، فاللغة هي وسيلة للكلام وإنتاج له في وقت واحد و لكن لا يمنع أن يكونا شيئين متغايرين.

---

[25]- **إمبرتو إيكو، التهامي العماري وآخرون، *سيميائيات الأنساق البصرية*، ط1، (اللاذقية، دار الحور، 2010) ، ص 75، 76.**

[26]- ***المرجع نفسه*، ص 76.**

[27]- **دانيال تشاندلر، *أسس السيميائية*، *مرجع سابق*، ص39.**

[28]- **المرجع نفسه، ص39 وللمزيد أيضاً يرجى الرجوع إلى: دانيال تشاندلر، ترجمة: شاكر عبد الحميد ، م*عجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات*، (القاهرة، أكاديمية الفنون، 2002)، ص 99، 100 وأيضا: عبد الهادي عبد الرحمن، *لعبة الترميز (دراسات في الرموز واللغة والأسطورة)*، ط1، (بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 2008)، ص 29. 30.**

[29]- **خليل الموسى، *السيمولوجيا، النشأة والتأويل*، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، العدد 456، نيسان 2009مرجع سابق، ص 22.**

الثنائية الأخرى هي (التزامنية والتعاقبية) وقد قدم (سوسير) المنهج التزامني على التعاقبي معللا ذلك بأن دراسة اللغة من خلال فترة محددة وحالة ثابتة أجدى من دراستها ضمن حركة تاريخية تعاقبية، فالمنهج التزامني يتصل بالجانب السكوني، والمنهج الزماني هو كل ما يمت بصلة إلى التطور، وهما يدلان معا على حالة لغة وعلى مرحلة تطور بشكل متعاقب.

ويرى (سوسير) أن دراسة العلاقات القائمة بين الأشياء المتزامنة أكثر دقة وجدوى من دراستها عبر الزمن "من المؤكد أنه لمن خير العلوم كافة أن تحدد بدقة وبحيطة المحاور التي تترتب عليها الأشياء المدروسة" [30] وهما على الشكل التالي :[31]

1- محور التزامنية المرتبط بعلاقات قائمة بين أشياء كائنة ويستبعد أي تدخل زمني وكأنها جمدت في الزمن (الصورة الشمسية)..

2- محور التعاقبية: (الزمانية) تدرس تطور منظومة القواعد والاصطلاحات عبر الزمن وكأنها في فيلم.

أما الثنائية الثالثة لدى (سوسير) فهي العلاقات السياقية (التنظيمية– التركيبية)، وبمعنى آخر المحور الاستبدالي والمحور التركيبي، ولطالما أكد (سوسير) أن المعنى يأتي من الفروق بين الدالات فقد حدد هذه الفروق بنوعين التركيبية وتتعلق بالتموقع، والاستبدالية وتتعلق بالإبدال أو (بالترابطية)*. وهذان النوعان هما أساس التحليل السيميائي، ويمكن تطبيق المحورين التركيبي والاستبدالي على جميع منظومات العلامات، فصعيد التركيب هو صعيد المزج (هذا مع هذا أو هذه)، بينما صعيد الاستبدال هو الانتقاء والتغايرات الوظيفية (هذا أو هذا أو هذا)*.

وترجع العلاقات التركيبية داخل النص إلى دالات أخرى حاضرة في النص بينما ترجع العلاقات الاستبدالية إلى دالاّت أخرى خارج النص وغائبة عنه حيث "علاقات الحضور تجتمع أفقيا بين وحدتين لغويتين متحققتين بالفعل، وعلاقات الغياب تجمع بين وحدة حاضرة، ووحدات غائبة في محور رأسي، ولكن ثمة تقابل يجمع بينهما، الأولى تعتمد على الامتداد الخطي للعلامة، والثانية تصل بالخزين اللغوي لفرد من خلال التداعي والإيحاء باستدعاء كلمة خارجة عن القول"[32].

---

[30]– ***المرجع نفسه***، **ص 22.**

[31]– ***المرجع نفسه*** **ص23 .**

*** إن مفهوم (سوسير) للترابطية أوسع وأقل شكلية(المقصود بالشكلية هنا يتألف من مصطلحات تم تعريفها بدقة) من المقصود عادة بالعلاقات الاستبدالية، إنه يتحدث عن ترابط عقلي و يدرج التشابهات التي ندركها في الشكل كالألفاظ المتجانسة أو المعنى كالمرادفات وهذه التشابهات متنوعة و تتدرج من القوية إلى الضعيفة، ويقول (سوسير) أنه لا يوجد نهاية أو ترتيب متفق عليه لهذه الترابطات للمزيد يمكن الرجوع إلى : محاضرات في الألسنية العامة، *مرجع سابق*، ص120، 124 و أيضا أسس السيميائية *مرجع سابق*، ص 151، 162.**

*** المزج كما في المثال التالي : بكى الرجل ، بكت الفتاة، أما الانتقاء فإبدال مات أو غنى بالكلمة الأولى في الجملة المذكورة وبنية أي نص تملك محورا استباليا وأخر تركيبيا فعلى صعد اللباس ..العناصر الاستبدالية هي العناصر التي لا يمكن ارتداؤها في الوقت نفسه على الجزء الواحد من الجسد كالقبعة و الجوارب و الحذاء. والبعد التركيبي هو تجاور عناصر مختلفة في الوقت نفسه للحصول على كسوة كاملة من القبعة إلى الحذاء للمزيد يرجى الرجوع إلى أسس السيميائية ، *مرجع سابق*، ص 151 وما بعدها.**

[32]– **زكريا، إبراهيم، *مشكلة البنية*، مكتبة مصر، القاهرة د، ت ص16، نقلاعن: آل بهيش، *مرجع سابق*، ص 43.**

بنية الصورة: تنقسم بنية الصورة إلى قسمين:

1- البنية الأيقونية:

اعتُبرت الصورة قوة تخلق وتعيد الإنتاج وقد يصل بها الحد ولو خيالياً إلى المساهمة في الخلق والتكوين، إذ جعلها (ابن حزم) الأندلسي في (طوق الحمامة) مصدراً من مصادر الولادة والإنجاب، ومن خلالها تتحد ملامح الجنين وتقلب البياض سواداً والسواد بياضاً.* والصورة أيضاً أداة سحرية وموضوع للسحر، إنها امتلاك أبدي لموضوع عرضي كائن أو شيء، وهي بديل يمكن من خلاله التحكم في الدال عليه (تمزيق صورة شخص تعبير صريح على عدوانية تجاهه)، ولا تزال عرافات العالم وساحراته إلى الآن يستعضن عن الموضوع المسحور بصورته "فإذا رمد عدو أو ظالم فخذ شمع كرة وصوّر فيه تمثالا على صفة من تريد وارسم عليه الخاتم مع اسم المطلوب وأمه وأفقأ التمثال بشوكتين"*. وبغض النظر حول صحة ودقة هذه الاعتبارات، إلا إن ذلك لا يقلل من أهمية النظر إلى الصورة كعلامة أيقونية تقوم العلاقة فيها بين الدال والمدلول على درجة التشابه، أو المماثلة (likeness) التي اعتبرت الخاصية الأساسية للعلامة الأيقونية حسب (ش.س. بيرس) الذي عرف العلامة الأيقونية بأنها "كل علامة تمتلك بعض مظاهر الموضوع الذي تمثله"،[33] ولكن المماثلة عند السيميائيين وعلى رأسهم (ش، موريس)، لا تعني أن التشابه انعكاس آلي وكلي للموضوع بل يكون تمثلها نسبيا بالنسبة لموضوعها يقول موري: "العلامة الأيقونية هي تلك التي تشبه موضوعها في بعض مظاهره ومن ثم الأيقونية فهي مسألة درجة"[34]، فصورة القط تشبه صورة القط فعلاً، بينما لا يشبه القط في شيء العنصر الصوتي (قط) أو العنصر المكتوب (قط).

وتتجسد أهمية المماثلة في كونها وسيلة لتحويل الأسنن (Codes)، فعن طريق تشابه الصورة بموضوعها يكون بالإمكان "قراءة الصورة أو فك رموزها وهي القراءة التي تستفيد هي نفسها من الأسنن الداخلة في قراءة الموضوع نفسه"[35].

لكن رأيا مثل هذا لا يعني فقط أن الصورة تماثلية في شكلها العام، لأن ذلك يعني إسقاط الجزء على الكل، وعلى وجه الخصوص إن المماثلة قد تغيب في بعض الرسوم أو الصور، وهو ما يدفع الباحث إلى البحث عن سبل أخرى لفهم الصورة مستندا بذلك إلى طبيعتها الرمزية أو الاعتباطية، حيث تحتوي الصورة على مجموعة من العلاقات الاعتباطية بموضوعها، لذلك فإن الملك (سنوسرت الثالث) أعظم ملوك الدولة الوسطى في مصر القديمة اعتمد على الطبيعة الرمزية في إخافة وإرهاب القبائل الإفريقية ورد المعتدين، فقد جمع بين الصورة والبناء المعماري من خلال مزجه بين

*** ذكر عن بعض الثقافة أنه أتي ابن اسود لأبيضين، فنظر إلى أعلامه فرآه لهما غير شاك، فرغب أن يوقف على الموضع الذي اجتمعا عليه، فرأى فيما يوازي نظر المرأة صورة أسود في الحائط، فقال لأبيه: من قبل هذه الصورة أتيت في ابنك .. للمزيد يرجى الرجوع إلى: أبو محمد علي بن احمد حزم الأندلسي، *طوق الحمامة في الألفة والآلاف*، ط1، (دمشق دار البيان، 2002) ص 30- 31 وهذا التصور موجود أيضاً في الفكر الفلكلوري في العديد من البلدان العربية .**

*** النص مأخوذ من كتاب السحر ذكره أدمون دوطي، ترجمة: فريد الزاهي، *السحر و الدين في أفريقيا الشمالية*، (المغرب، منشورات مرسم، 2008)، ص 530.**

[33]- سعيد بنكراد ، *السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها*، *مرجع سابق*، ص 228.

[34] -Morris charler, *Sign, language and Behavior*- New York, pentice Hall،1946.

- نقلا عن: أمبرتو ايكو، *سيميائيات الأنساق البصرية*، مرجع سابق، ص 32.

[35]- محمد غرافي ، *قراءة في السيميولوجيا البصرية*، مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص222.

دلالة الحصن المتين وهيبة الملك*، كما تحولت العين في فيلم (الإضراب) لـ (ايزنشتين) إلى "ضمير الإنسانية"[36]، حيث منحت الصورة لأجزاء الجسم دلالة مجازية. وهذا الطرح بالضرورة يرجعنا إلى موضوع السيمياء الذي يتكون أصلا من مجموعة من الأنساق الاعتباطية، ومبدأ الاعتباطية (والذي تناولته الباحثة سابقا) هو المعيار الأساس الذي يتم من خلاله تصنيف الظواهر وفهمها حسب (سوسير)[37]. لذلك فإن دراسة الصورة حسب (كريستان ميتز)* لا تقتضي بالضرورة البحث عن نظام وحيد وجامع للصورة يقوم بإعادة الاعتبار إلى مجمل الدلالات الملحوظة في الصورة، وينفي إمكان ظهور هذه الدلالات خارجها فليس كل شيء أيقونياً في الأيقونة، بل يمكن العثور على ما هو أيقوني خارج الأيقونة. فصورة الشخص ليس علامة أيقونية بشكل مطلق، لأن اللوحة التي تحمل هذه الصورة ليس لها أي قدرة على الكلام أو الحركة التي يملكها الشخص المصور، وهذا ما يجعلنا نردد مع (إيكو) الذي يعد أيضا من الباحثين الذين تعرضوا لتحليل دقيق لهذا النوع من التفسير للعلامة الأيقونية أن "صورة الملكة (إليزابيث) مثلا ليست هي الصورة التي وضعها الرسام (أنيكوني) بل هي الملكة نفسها، أو نسخة محتملة في الخيال العلمي"[38]. لكن الإشكالية بالنسبة إلى (إيكو) تكمن أيضا في المظاهر المشتركة بين العلامة وموضوعها، فما يرضي العقل ليس بالضرورة أن يرضي السيمياء، لذلك فالعلامات الأيقونية لا تمتلك خصائص الموضوع الذي تمثله بل "تقوم بإنتاج بعض شروط الإدراك المشترك بين العلامة وموضوعها"[39]، وعملية انتقاء هذه المثيرات البصرية هي التي تسمح بتكوين بنية إدراكية تمتلك بالنسبة إلى أسنن التجربة المكتسبة دلالة التجربة الواقعية نفسها التي تمثلها العلامة الأيقونية.

2- البنية التشكيلية:

إن المضامين الدلالية للصورة هي نتاج "تركيب يجمع بين ما ينتمي إلى البعد الأيقوني والتمثيل، وبين ما ينتمي إلى البعد التشكيلي مجسّداً في أشكال من صنع الإنسان وتصرفه في العناصر الطبيعية، وما راكمه من تجارب أودعها أثاثه وثيابه ومعماره وألوانه وأشكاله وخطوطه[40]". وتعد الصورة من هذه الزاوية ملفوظا بصريا مركبا ينتج دلالاته استنادا

*** إذا صعدنا إلى الدولة الوسطى في مصر القديمة وإلى الأسرة الحادية عشرة وجدنا حالة قوية الدلالة على اشتراك الصورة و البناء المعماري معا في القيام بوظيفة معينة هي وظيفة ترهيب القبائل الإفريقية وتحذيرها من المساس بحدود مصر الجنوبية عند الشلال الثاني من مجرى النيل، حيث قام الملك سنوسرت الثالث (1887- 1850- ق.م) أعظم ملوك الدولة الوسطى ببناء حصن مهم وهو حصن سمنة في أقصى حدود مصر الإفريقية، ويبدو أنه وضع فوق ذلك الحصن تماثيل ضخمة تمثله هو نفسه و يستطيع أن يراها كل من ينظر إلى الحصن من بعيد من خارجه، بحيث تجتمع دلالة الحصن المتين مع جلالة هيئة الملك في تمثاله في وظيفة ردع المعتدين، وهكذا تكمل هيئة الصورة البشرية قوة حوائط الحصن في إرسال إشارة معينة أو فلتقل بإعطاء رسالة معينة ذات طبيعة حربية . للمزيد يرجى الرجوع إلى : عزت قرني، الصورة في فن العمارة ، *مجلة الفنون*، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و العلوم و الآداب، العدد 85 ، يناير، 2008 ، ص 55 ،56.**

[36]- يوري لوتمان، *مدخل إلى سيميائية الفيلم*، يوري لوتمان، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 2001) ، ص142.

[37]- سعيد بنكراد، *السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها*، مرجع سابق، ص 115.

*** يخلص ميتز إلى مجموعة من الملاحظات فالمماثلة تخضع لمجموعة من التغييرات الكمية و الكيفية كما أن مفهوم المماثلة أو التشابه قد يختلف من ثقافة إلى أخرى للمزيد يرجى الرجوع إلى:**

CH.M etz, *in Communication*.n4,1964.

نقلا عن: محمد غرافي، *قراءة في السيمولوجيا البصرية*، مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص225.

[38]- امبرتو ايكو، *سيميائيات الأنساق البصرية*، مرجع سابق، ص31.

[39]- المرجع نفسه، ص 34.

[40]- سعيد بنكراد، *السيمياء مفاهيمها وتطبيقاتهما*، مرجع سابق، ص154- 156.

إلى التفاعل القائم بين مستويين مختلفين في الطبيعة لكنهما متكاملان في الوجود. والشكل كيان مستقل قابل لِأن يرتبط بمجموعة من المضامين، ويتحدد من خلال عناصر تدركها الذات المبصرة وتتفاعل معها، حيث يأتي الشكل إلى الصورة باعتباره موقعا واتجاها وحجما، وكل بعد ضمن هذه الأبعاد الثلاثة مرتبط بسلسلة من الوحدات الشكلية الصغرى التي تحيل على مضامين بعينها. فموقع الشكل واتجاهه وحجمه عناصر أساسية في فهم البناء التشكيلي للصورة، وهي أيضا أساسية في تحديد المحاور الدلالية المرتبطة بها. فكل محور له علاقة بعنصر من العناصر السابقة، فهناك "الإقصاء وهو محور دلالي مرتبط بالموقع"[41]، فالإقصاء مرتبط بموقع الشيء إما في المركز أو في المحيط وهذا يرتبط أيضا "بتثبير الرؤية"[42]، وبما أن الشكل لا موقع له إلا في علاقته بالعمق، فإن التوتر بين هذين المدركين (الشكل وحدود العمق) هو ما نسميه بالإقصاء، إن حدود العمق تجنح إلى إقصاء كل شكل يقع ضمن دائرتها. ولهذا "المحور تنظيم داخلي فهو إما مركزي وإما محيط"،[43] وهناك أيضا "محور التوازن ويعود إلى الاتجاه"،[44] وهناك "الهيمنة وهي محور خاص بالحجم".[45] وتشير هذه المحاور إلى نمط حضور الأشياء داخل المساحة التي تمثل لها الصورة.

الفضاء الصوري الإشهاري:

الصورة الإشهارية هي "الصورة الإعلامية التي تستعمل لإثارة المتلقي ذهنياً ووجدانيا والتأثير عليه حسيا وحركيا لدفعه قصد اقتناء بضاعة أو مُنتج تجاري"* ويميز (بارت) الذي يرى في الإشهار كائنا نصياً ينتج المعنى، بين ثلاثة أنواع من الخطابات أو الدلالات داخل الصورة الإشهارية " الدلالة اللغوية والتعيينية، والتضمينية"[46]، أو بلغة أخرى بين ثلاث رسائل: "الرسالة اللغوية والرسالة الأيقونية المسننة والرسالة الأيقونية غير المسننة وهذا الرسائل تجمع بينها رسائل بنيوية"[47] وتؤخذ الرسالة الأولى للنص الإشهاري مكتوبة أو مصورة في مستواها الحرفي أما الرسالة الثانية فهي المدلول الذي ينقل فكرة واحدة و هي رسالة إيحائية غايتها الإقناع بلغة مبطنة.

وبذلك يكون (بارت) قد وضع أسس النظرية العامة التي يستند إليها التحليل السيميائي في مقاربة الصورة من خلال الإجابة على مجموعة من الأسئلة: كيف يأتي المعنى إلى الصورة؟ إلى أين ينتهي؟. وماذا يأتي بعده؟ مستعيداً بذلك بعض أطروحات (سوسير) (اللغة والكلام، والدال والمدلول، الاعتباطية)، وما جاء به (يلمسليف) في سيميائيته حول مصطلحي (التعيين والتضمين أو الإيحاء)، وما جاء به (بيرس) في مفهومه للأيقون.

وتضطلع الصورة في الفضاء الصوري بشكل عام في ثقافات الترفيه والإعلان بالوظائف الآتية[48]:

---

[41]– المرجع نفسه.

[42]– عبد المجيد العابد، *التواصل والواصل الفعال في الإشهار*، مدونة إيلاف، تاريخ الدخول 07/ 04/ 2017.

Available at : http;//*www.elaphblog.comlposts.aspx*?u=3024&A=45783 date of earch: 5/6/2018

[43]– المرجع نفسه.

[44]– محمد خاين، *العلامة الايقونية والتواصل الاشهاري*، ورقة بحثية قدمت في الملتقى الدولي الخامس (السيمياء والنص الأدبي)، الجزائر، ملاحظة: (لا يوجد تاريخ للمؤتمر).

[45]– المرجع نفسه.

*** للمزيد يرجى الرجوع إلى: جميل حمداوي، *سيميائية الصورة الإشهارية*، مجلة المثقف. الشارقة، العدد 653، 2011.**

[46]– محمد غرافي، *قراءة في السيمولوجيا البصرية*، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. العدد 1، المجلد 31، يوليو، سبتمبر 2002. ص238.

[47]– محسن بوعزيزي، السيمولوجيا الاجتماعية، *مرجع سابق*، ص 120

[48]– بشير ابرير، *الخطاب الإشهاري وخصائصه*، موقع منتديات مكتبتنا العربية:

1- الوظيفة التوجيهية: فالصورة فضاء مفتوح على التأويلات كلها، لهذا تكون مرفقة في أغلب الأحيان بتعليق لغوي (منطوق أو مكتوب) يثبت فيه المعلن بعضا من أفكاره.

2- الوظيفة التمثيلية: تقدم لنا الأشياء والأشخاص في أبعادها وأشكالها بدقة، وهو الشيء الذي تعجز عنه اللغة في كثير من الأحيان، أي أنها تبقى المرجع الأول والأخير الذي يجد فيه النص تجسيده وتقويمه، وهو ما أرجعه (سوسير) إلى أن أغلب الناس ينتبهون إلى الصور المرئية أكثر من تنبههم إلى الصورة الصوتية وسبب ذلك يعود إلى أن "الانطباعات الأولى أوضح وأكثر ثباتا من الانطباعات السمعية"[49].

3- الوظيفة الجمالية: وترمي إلى إثارة الذوق والدعوة إلى التأمل في عناصرها الدقيقة من قبل المتلقي، وهذه العملية أساسية جدا للفاعل الخطابي الإعلاني لأنه يشد اهتمام المتلقي وحضوره لتقبل رسالته.

4- الوظيفة الإيحائية: الصورة تعبير يغازل الوجدان ويغذي الأحلام لأنها عالم مفتوح على مصراعيه لكل التأويلات والتصورات، وهي تحاور اللاوعي وتوحي بمشاعر تختلف طبيعتها من مشاهد إلى آخر.

5- الوظيفة الدلالية: إن الوظائف الأربعة تتضافر كلها لخلق عالم دلالي معين، وهذه الدلالة تأتي نتيجة التفكير والتأمل الذي أسسته الصورة لدى المتلقي حيث يعمل الفاعل الخطابي الإعلاني على تقنين التأويل، وتصريف الاهتمام إلى عالم دلالي مضبوط عن طريق ما يؤكده النص الصوري الذي له قوانينه وبلاغته الخاصة. فأن تكون الصورة حاملة لدلالة ما، فإن هذه الدلالة لا توجد في عناصر الصورة ذاتها بل تعود إلى كون آخر. فإذا تركنا جانبا كون أن إدراك الصورة يقتضي رد فعل ناتج عن مثير فيزيقي يقود إلى العمل على التعرف على ماهية هذا الشيء الموجود أمامي، فإن التدليل داخلها "يقتضي العمل انطلاقا من أسنن سابقة، أسنن ستكون هي الأصل في إنتاج الدلالة ومصدرا للإدراك" *. واستنادا إلى ذلك فإن الفضاء الصوري يتسم بقوانينه الخاصة في كل جنس من أجناس المرئي سواء كانت صورةً أو أشكالاً بصرية أو صوراً الكترونية.

Available at: http;//www.*almaktabah.net/vb/showthread*.php?t=37237 date of search*: 10/10/2018*

[49]- آل بهيش، *مرجع سابق*، ص 308.

*** أن تكون الصورة تمثيلاً لامرأة أو رجل، أو صبي، فتلك تمييزات لا تخص الدلالة، بل تعود إلى إدراك يقود إلى التمييز بين الأشياء والكائنات، وبين الكائنات عامة والإنسان خاصة. صحيح أن إدراكي سيتطلب سلسلة من العمليات اللامرئية : وجود أقسام متنوعة يتحدد عبرها القسم الذي تحيل عليه الصورة (الحيوان، الأشياء الطبيعية منها والمصنوعة)، وجود سمات مظهرية (الحجم، الامتداد، اللون، الضوء). إلا أن هذه العناصر في ذاتها لن تقودني إلى توليد دلالة تخص الصورة، بل ستقود فقط إلى إدراك الصورة. ذلك أن الإدراك مبني – منذ اللحظات الأولى– على الاختلاف لا على التشابه. إن الأمر ليس كذلك عندما يتعلق الأمر بالحديث عن قيم دلالية تعد الصورة مهدا لها، أي تقديم الصورة من أجل التمثيل لقيمة أو قيم ما (صور الدعاية السياسية مثلاً).**

وهكذا فإن إحالة الصورة على "الحنان" أو "القسوة"، أو على "الغموض أو الشفافية"، أو على "الاعتداد بالنفس" أو "الانطواء"، أمر يعود إلى سجل من طبيعة غير طبيعة التعرف. فالتدليل هو ما يتم الحصول عليه انطلاقا من عملية تسنين ليست مرئية من خلال المادة التعبيرية. إن الأمر يتعلق بسجل التسنينات التي بلورتها الممارسة الإنسانية وقدرة هذه الممارسة على منح الأعضاء والأشكال والألوان دلالات إضافية تتجاوز من خلالها الوظيفي والاستعمالي. فالعين مثلا لا ترى فقط، إنها "تحدق" و"تقسو" و"تحن"، وهي "ترفض" و"تقبل" أيضا. وليست اليد لحمل الأشياء فقط، إنها "تصد" و"تستجدي" و"تقمع" و"تمنح. للمزيد يرجى الرجوع إلى: سعيد بنكراد، المعنى بين التعددية والتأويل، مجلة علامات، المغرب العدد 13، 2000.

أما عن تشكل الدلالات الممكنة للصورة الإعلانية وعملية بناء الدال الأيقوني في الصورة، فإنها تتبلور ضمن تسنينات يردها (إيكو) إلى مستويات ثلاثة يغطي كل مستوى حقلا من حقول الممارسة الإنسانية ويتعلق الأمر بـ[50]:

1- المستوى الأول خاص بالتسنين الإيقوني: وهو القدرة على تحويل دال لفظي إلى دال بصري مثال على ذلك: تحديد خاصية المنعش من خلال قطعة ثلج.

2- ويعود المستوى الثاني إلى "التسنين الإيقونوغرافي"*، ويتعلق الأمر بمجموع التمثيلات البصرية التي تحيل على تشكيل صوري يحتوي في داخله مدلولاً مسنناً بشكل اعتباطي، ويشتمل إما على تشكيل صوري ذي صبغة تاريخية (عصابة سوداء) على العين تعني (قرصان)، و(الشخص المصلوب) يحيل على المسيح، وإما على تشكيل بصري مرتبط بحقل الإشهار ذاته فالعارضة تتميز بطريقة خاصة في الوقوف والحركة واللباس والنظرة.

3- المستوى الثالث يعود إلى حقل البلاغة، ويتعلق الأمر بإعطاء صورة بلاغية متجلية من خلال حامل من طبيعة لسانية مقابلاً بصرياً (طاولة مليئة بأنواع المأكولات: كناية عن الغنى

سيمائية دمشق المدينة

حاولت الدراسة تحليل مدينة دمشق بغير ما كان متداولا في الأبحاث السابقة والأعمال التي لم تر المدينة إلا بشرا وحجرا وعمارة، لذلك كانت مقارباتها أقرب إلى الكم منها إلى الكيف، ولأنها كذلك لم تتمكن من بلوغ الدلالة لتقف عند المستوى النفعي الذي يقوم على وظائف المدينة واستعمالاتها، من دون الحديث مثلا عن الإنجازات البلاغية للمدينة وسكانها؛ فنادرا ما يتطرق فيها إلى الدلالة التي تجعل من المدينة لغة بالمعنى الحقيقي لا بالمعنى المجازي. كما يصعب الحديث عن حياة مدنية من دون تناول حياة الناس على الرصيف، ودونما قراءة الصورة في الإشهار وما تبثه من رسائل، حتى السيارة باتت كذلك مكونا من مكونات المدينة ومن دونها يتغير المشهد الحضاري . ويهدف التحليل السيميائي للمدينة إلى إمكانية قراءتها فينومولوجياً للبحث عن الدلالة في الظاهر توسلا للشيء عينه، ولا تكتمل هذه القراءة من دون سيميائية نبني نسقها على معنى العناصر الكامنة، وتجد القراءة السيمائية للمدينة مشروعيتها العلمية في نص (بارت) (السيمولوجيا والتحضر) كتبه عام 1967و فيه يُنبِّه إلى أهمية دراسة المحتوى الدلالي للمدينة فيراها خطابا له لغته الخاصة يقول بارت[51]: "المدينة خطاب وهذا الخطاب له لغة حقيقية تتحدث المدينة إلى سكانها، ونحن نتحدث إلى مدينتا، المدينة حيث نوجد لمجرد أننا نسكنها ونعبرها وننظر إليها، لكن المعضلة أن تنشئ من المستوى المجازي عبارة مثل (لغة المدينة)، أنه من السهولة أن نتحدث مجازيا عن المدينة كما نتحدث عن لغة السينما والأزهار و لكن كيف يمكن التصدي لهذه المعضلة، والانتقال من المجاز إلى التحليل حين الحديث عن لغة المدينة". والمدينة ليست جسدا مادياً فحسب، بل إنها قبل هذا جسد اجتماعي ورمزي، وجسد من النصوص الاجتماعية تخاطبنا ونخاطبها، ولعل العلامة هي أخطر سكان المدينة وأكثرهم مقاومة للزوال والنسيان، فكم رمز تاريخي حال دون احتواء المدينة، أو بعض منها من قبيل ذرائعية القطاع الخاص واستثماريته، وكم من عناصر القوة والهيمنة شلتها محرمات

---

[50]- سعيد بنكراد، *الإرسالية الإشهارية، التوليد والتأويل*، مجلة علامات، المغرب، العدد 5، 1995.

*** للمزيد يرجى الرجوع إلى: امبرتو ايكو، *سيميائيات الأنساق البصرية*، مرجع سابق، ص 25-70.**

[51] محسن بوعزيزي، *السيمولوجيا الاجتماعية*، مرجع سابق ،ص194.

المدينة وطقوسها فحفظت هيبتها ودافعت عن هويتها. المدينة بعد هذا وذاك مبتدأ خبره الناس، ثقافة وهوية وتاريخا وأوضاعا اجتماعية، وعبرة هذا الخبر لا يمكن إدراكه إلا بالعين التي ترى ما هو باد للعيان لتبلغ الأنساق الكامنة.

النتائج والمناقشة:

1- رصيف المدينة:

المشي خارج الرصيف له معاينة أنثريولوجية تتكرر في مدينة دمشق، فهذه الوجوه التي قد يشوبها الإحساس بالضيق تأبى الانحسار في فضاء الرصيف الضيق بعد أن تم افتكاكه من قبل الخاص والعام وتسليعه، و قضم أجزاء منه بذريعة أو بغيرها. هنا الرصيف لا حرمة له إّذ يمكن افتكاكه في كل لحظة، إنه مجال للبيع وشراء السلع ومجال لإنتاج العلاقات الاجتماعية، وإعادة إنتاج علاقات عابرة أحيانا وأخرى دائمة. وهو في ظاهره فضاء عام وفضاء خاص يستحوذ عليه مالك المحل أو ساكنه. والرصيف بهذا المجال صراع بين مختلف القوى الاجتماعية التي تتحرك في الشارع و تتعايش معه وفيه وتعيش منه. كل يراهن على افتكاك بعض منه وقضم ما يوازي محله، ويرجع هذا في وجه من وجوهه إلى غياب الوعي بمعنى الفضاء العام للمدينة الذي لم يترسخ حسا أو سلوكا أو ممارسة في الثقافة العربية.

ولكن الرصيف قد يستعيد بعض استقلاليته النسبية وبعض سماته وملامحه المدنية إذا مررنا من الأحياء الشعبية مثل: القيميرية والحريقة والعمارة والميدان، إلى بعض الأحياء الراقية مثل: الصالحية والحمراء وأبو رمانة والشعلان؛ ففي الحي الشعبي يختفي الرصيف أو يكاد..، وفي الراقي من الأحياء يستعيد حرمته ومساحته وينشط معه منطق المدينة وثقافتها، على سبيل المثال في الحريقة والميدان وهما من أكثر الأحياء الشعبية اكتظاظا ينتهي الرصيف ويغيب ليتحول إلى مجال شديد التنوع، وربما يتحول الرصيف إلى سوق بما فيه من مضاربة ومنافسة وروابط من القوة لا تراعي إلا المصلحة الفردية، أما في "الشعلان" و"الصالحية" أكثر الأحياء الدمشقية تنظيما وثراء وجمالا يصبح للرصيف طقوسه وقوانينه وضوابطه، ومثلما غياب الرصيف أو حضوره هو معيار لدرجة التمدن، فإنه أيضا معيار لكثافة أو ضعف قدرة أفراد المجتمع على التكيف الاجتماعي، وعلى حفظ قواعد التضامن الاجتماعي، ويشهد الرصيف على درجة العزلة الاجتماعية والنفسية لأفراد يتحدثون إلى أنفسهم أو عن أنفسهم بأصوات عالية، ويشهد كذلك على درجة الإقصاء الاجتماعي لمُهمَّشين اتخذوا من الرصيف سكنا في الليل وفي النهار. كما ويخبرنا الرصيف عما في المجتمع من عنف مادي ورمزي، وفي جدار الرصيف تعبيرات تدل على الفوضى الاجتماعية كالخربشة والإمضاء ومختلف أشكال التعبير على الجدران التي ينظر إليها مؤسسها كأفعال تخريبية وغير مدنية، إذ تتمرد على القواعد المألوفة في الفضاء الحضري، وتدير ظهرها للممنوع، ورغم عفوية هذه الخربشات التي تصم جدران الرصيف، وما يحكم سلوك فاعلها من ارتجال عادة يدخل في مجال اللاوعي، إلا أنها ورغم اختلاف الرهانات والأهداف تشبه في نزعتها المتمردة ما كانت تمارسه بعض الحركات السرية من نشاط خفي، حيث يتحول الجدار إلى مجال للتعبير في الأزمات، وبالتالي فإن التقاطعات الاجتماعية في الرصيف يمكن متى استقرت وترسخت أن تساهم في بلورة الرأي العام وتداول الآراء، وتبادلها حول العديد من القضايا.

2- السيارة والمدينة:

السيارة أيضا بعد أساسي من أبعاد المدنية... ولها أبعاد خفية أيضا تندرج في سياق ما يبدو فيه الاستهلاك نمطا حياً من الروابط مع الآخر، يتجاوز الممارسة المادية وفينومينولوجيا الوفرة والبذخ ليصبح جوهرا دالا ومعنى يتلاعب نسقيا

بالعلامات. والسيارة بهذا المعنى ضرب من العلاقة مع الآخر يتميز بروابط من القوة والمنافسة والرغبة في الهيمنة أو في الإقناع في الحد الأدنى. يرى جان بوديار "إن امتلاك السيارة هو بمنزلة شهادة مواطنة و تمثل فيها رخصة القيادة مصادقة على نبل هذه الملكية ويتخذ سحب الرخصة وقعاً كارثياً أحيانا"[52] أما الحركة من دون عناء والسرعة حين القدرة على تجسيم عبارة(يطوي الأرض طيا) فهما مصدر لغبطة دينامية ناتجة من اختراقات وتحكم في الزمان والمكان.
السيارة كذلك إيحاء بخطاب مُضمر يتأتّى المعنى فيه من علاقة جدلية غائبة ولكنها متلازمة في الحياة العامة، أوضحها المرأة والبيت والسيارة. فالسيارة حاضرة في الخطاب اليومي بكثافة إنها موضع خطاب يُقارَن فيه بالمرأة؛ ولحظة التذمر من فرط الاستهلاك والتكلفة، والسيارة تعوض اليوم عن الجواد الذي كان حكرا فقط على النبلاء أو الوجهاء والزعماء عند خاصة من العرب ولاسيما إذا كان أصيلا، أما العامة التي لا رأسمال لديها فلم يكن لها أمل في امتلاكه إلا إذا كان من سقْط المَتاع، كذلك يمكن أن تكشف السيارة عن تراتبية اجتماعية حتى إن المواطن السوري اليوم يستطيع أن يصنف الناس بحسب نوعية السيارة إذ أن امتلاك بعضها اليوم يبدو حكرا على فئة دون أخرى.
السيارة في حد ذاتها أداة تصنيف بعد أن صارت رائجة ومُستهلّكة ونزلت إلى العامة من الناس، وإنما علامة السيارة هي التي تمنح القدرة على التصنيف والتمايز فالسؤال التقليدي عن نوعية السيارة التي تمتلكها يخفي سؤالا عن مكانتك الاجتماعية ولاسيما بعد أن بات اقتناؤها منزوعا من وظيفته، ومن غايته الأساسية المتمثلة بتيسير التنقل. لقد حلت علامة السيارة محل السيارة وافترست غائيّتها إذ خنقت الوفرة حركة المرور، فأصبحت السيارة عبئا ثقيلا على الحياة العامة وعلى المعيشة اليومية، فلا يتسامح إلا مع علامة السيارة الفخمة بمشهديّتها المثيرة يحدث هذا من جرّاء فرط السوق والاستهلاك الذي ابتلع الفضاء الجغرافي والتهم ما كان للمارة من مسلحات ضيقة و بالتالي هو تكثيف الاستهلاك بصرف النظر عن النتائج وبالتالي فإن البنية التحتية لِلدّال قُوِّضت ولم يبقَ إلا مدلولها، فالمجال الذي تمثله السيارة عند الناس من ثنائية الدلالة الذاتية والإيحاء لم يبقَ منه إلا الإيحاء الذي التهم مستواها المادي الموضوعي والمباشر.

3- الإشهار و صور المدينة:

الخطاب الإشهاري في دمشقَ المدينة يجيز أحياناً ما لا تُجيزه اللغة فيتلاعب بقواعدها ونحوها وصرفها لِيخلُق نحوه الخاص، ومن قواعد الخروج من المذكر إلى المؤنث تغليب للتأنيث على التذكير فضمير المُخاطب المذكّر "أنت" قليل التداول في لغة الإشهار، وليس هذا مردّه تفضيل المرأة على الرجل في الخطاب الإشهاري، وإنما للتأنيث المطلق خاصية مدنية استوعبها الإشهار، فتحول إلى علامة من علامات المدينة مثل إشهارات بعض أنواع الشوكولا.
النحو في اللغة جملة من القواعد الصارمة يورِدها الإشهار مرِنةً ومتحركة، لأن عقيدته المباغتة وغير المتوقعة لشدّ الانتباه والتحكم في السلوك الاستهلاكي إلى الحد الذي يمكن معه أن تتحول البضاعة إلى كائن حي قابل للأنْسنَة...، مثلا إشهار لشاي كامبو؛ (قلبي حبو...) وبن حسيب...؛ (مزاجك حسيب)، وإشهار لأحد زيوت الطعام (معه قلبي منوَّر)، وكل شيء جائز في الإشهار ويثير الدهشة ويحقق الإثارة ويجلب الانتباه فالهمزة مثلا قطع في كل الأحوال سواء أكانت أصلية في جذر اللفظ أم لم تكن على سبيل المثال: ألعب وأربح و(متعة الإنتعاش)....و(إقتصاد أكثر)...، وقد يكون مردّه الإصرار على همزة القطع دون الوصل طلب التصديق في جودة البضاعة؛ وهو مُراد قد تعجز عن إبلاغه همزة الوصل، ويعمد مروِّجو المُنتج للتأكيد على رسم الهمزة فوق ألف همزة الوصل بغرض إيصال أحرف قوية

[52] **محسن بوعزيزي، *السيميولوجيا الاجتماعية*، مرجع سابق، ص204**

تطرق أذن وعين القارئ، وغالبا ما يكون الحرف الثاني بعد الألف المرسومة فوقها همزة حرفا مشددا أو حرف من حروف القلقلة مثل: اشتري...، أقرأ..، وعلى اعتبار أن حروف القلقلة تتطلب الشَّدَّة في النُطق فإنها تصبح أقوى في المسامع إذا سبقت بهمزة قطع، ولعل مُروِّجو الإشهار يدركون أو لا يدركون هذه الدلالة اللغوية لكننا أصبحنا نراها تلقى رواجا كبيرا في صياغة العديد من الإشهارات التجارية.

والظاهرة الإشهارية هنا تقوم على عناصر الإشهار السوري الذي يبتعد عن الفصيح في اللغة فيلوذ بالمنطوق احترازاً مما قد يفضي بالعبارة إلى الثقل على اللسان ،صرف النظر عن سلامة اللغة، بحثا عن نوع من الجناس والطباق يكون فيها للجملة إيقاع قد يسهل ترسخيها وحفظها إشهار لإحدى الجمعيات الخيرية (كلنا أمل لنقضي على الألم ...) وإشهار منظف "ليتس" (النظافة بتشهدلو...) وإشهار لأحد أنواع السمنة (لذتها بخفتها)، وإشهار لأحد المشروبات الغازية الذي يبتعد عن قواعد اللغة بالكامل (طعم تاني... بلش مع ميغا...).

ومن عناصر الإثارة أيضا في الإشهار اعتماد صيغ التعجب المضمرة أو المختزلة في علامة "!" وغالبا ما يكون تكرارها على هذا النحو !!!! زيادة في إثارة الانفعال بشأن بضاعة ما ولإثارة فضول القارئ الاكتفاء بنقطة الاستفهام ؟؟ على اللافتة الإشهارية ثم توضيحها بعد مدة وهنا يكون غياب الرسالة، رسالة في حد ذاتها، تشكل فراغا دلاليا يثبت محتوى بمجرد إخفائه فنفي الدليل بقصد تكثيفه...، (إشهار لنوع من أنواع الزيوت... أسمر وصحي ومقرمش ؟؟؟؟).

في مدينة دمشق تحتل اللغة العربية الحيز الأكبر في مساحة العنوان الإشهاري من دون أن تنافسها لغة أخرى مثل الإنكليزية أو الفرنسية لتغدو اللغة الإشهارية؛ بصرف النظر عن المتغير الجغرافي والاجتماعي الذي هو أكثر قدرة على البلاغة والتبليغ في الأحياء الراقية، ويقل صفاؤها ويصير أكثر مباشرة كلما توغلت في الأحياء الشعبية، وبصرف النظر عن هذا المتغير السوسيولوجي المهم، فإن لغة الإشهار في الشارع الدمشقي لا تقيم وزنا للتمييز السوسيري "نسبة إلى فرديناند دو سوسير" (اللغة والكلام)؛ بل إنها ترد الكلام لغة حتى تمكنه من استعادة نفسه.

أن ما يقال في الاستعمال يثبته الإشهار لغةً منطقيةً؛ ولغة الإشهار بصورها هي انبثاق لغير المتوقع تقفز إلينا فجأة إلى درجة العدوانية:؛ ويكمن ذلك في استفزازها للقدرة الاقتصادية من خلال وظيفتها الإيحائية التي تلوي ذراع المستهلك، وتستهدف تعديل سلوكه من خلال التسنين "التشفير الإيقونوغرافي" بحسب (إيكو)؛ تأكيدا لقيم الأناقة والنبل والأفضلية والنخبة، فالناس هم ما يشترونه وما يستطعون شراءه، وإلا فهم أدنى السلم الاجتماعي، إنها لغة الأقوى لا تَعير اهتماما لاختلاف القدرات والإمكانات وتدير ظهرها للواقع الموضوعي لتخلق عالمها من خلال النماذج بتحريك الرغبة و تشغيل الإغراء على قلّته مثل إشهار لأحد أنواع السيارات الفاخرة (تَمَيَّزْ مع الأداء...)، والإشهار لا يدافع عن علامات واقع فعلي أو ممكن بل يثبت واقع العلامة التي غالبا ما تكون علامة الأقوى، لتتحول بفعل التكرار إلى واقع فعلي لما يتورط فيه المستهلك بصرف النظر عن انتمائه، إنه ضرب من التسطيح الاجتماعي الذي يعادي الفروق فيجعل من الفئات والطبقات مجتمعا استهلاكياً واحداً، وتلك هي مؤمراة الإشهار التي توحِّد الناس وجميع الناس حول العلامة والشعار باعتبارهما في حد ذاتهما سلعة و موضوعا استهلاكيا.

وهنا أيضا تبرزالوظيفة التمثيلية للإشهار التي ركز عليها (بارت) ولاسيما حين تبرز اللوحات الإلكترونية في الأحياء الراقية وشوراعها، ليقدم الإشهار لنا الأشياء والأشخاص في أبعادها وأشكالها بدقة، وهو الشيء الذي تعجز عنه اللغة في كثير من الأحيان ، أي أنها تبقى المرجع الأول والأخير الذي يجد فيه النص تجسيده وتقويمه، وهو ما أرجعه (سوسير) إلى أن أغلب الناس ينتبهون إلى الصور المرئية أكثر من تنبههم إلى الصورة الصوتية وسبب ذلك يعود إلى أن الانطباعات الأولى أوضح وأكثر ثباتا من الانطباعات السمعية، ومؤامرة الإشهار تدور رحاها على الجدار أيضا،

فهي مكتبة الشوارع وكلٌّ يحاول افتكاك حيِّزَه بتكبير الصورة على طوله أو عرضه ما دامت الأحداث البلاغية مجازا واستعارة وكناية قليلة في النص الإشهاري، فيلجأ إلى غطرسة الحجم، وعلى الرغم من قلة الأشكال البلاغية فإنها تنحصر على وجه الخصوص في الأحياء الشعبية دون سواها. وللصورة في مدينة دمشق قوة رغم أنها ليست سوى أيقونة تخلق وتعيد الإنتاج؛ ففي شوارع المدينة صورا حمّالة لأوجهٍ عدّة، لاسيما الصور الإشهارية القابلة لتأويلات مختلفة، فلا تُفسَّر بِبعد واحد يغني عن بقية الأبعاد، ولكن تزداد الصعوبة حدّةُ حينما تنزع إلى بلوغ العلامات التي تكشف عنها الصورة دون البحث في سوسولوجية التقبل، أي في الاستعمالات الاجتماعية للصورة الفوتوغرافية، كما فعل (بيار بورديو) في "فن متوسط" فالصورة لديه منظور إليها من زاوية الانتماء الاجتماعي الطبقي فكل يحدد مواطن القوة فيها بحسب الظروف الاجتماعية الطبقية، هكذا تكشف عنده الصورة عن وظيفة اجتماعية ترتبط بالطبقة، على معنى أنها ليست تسجيلا حرفيا وموضوعيا للعالم المرئي بل تأويلا للواقع وفق رؤية طبقية فتكون الصورة فقيرة فنيا لدى الطبقة الفقيرة، وتتكثّف جماليتها الفنية لدى الطبقات العُليا على قلة هذه الممارسة لديهم.

أما صورة الشارع في مدينة دمشق فلا تفرز فروقا طبقية بل تبدو كتلة واحدة تتغاضى عن الأصول الاجتماعية والجغرافية للناس وتراهم بعين قوية غالبة فلا ترى إلا ما يؤمّن مصلحتها ويؤكد تفوقها ويعيد إنتاج هيمنتها، وما عدا ذلك لا يعنيها فتختفي الصورة لتكون أبرز العناصر الدالة بقوة غيابها عنها لحظة القراءة العلمية (صورة إشهارية لمقدم أحد البرامج الفنية)

وهنا بالذات يبرز بنجاعة المفهوم البارتي وما يحدثه من تشويش على التمفصلات الكبرى للبنية، فصور الإشهار تتلاعب بالواقع الحي و تشوش عليه فلا ترى إلا أثره، فبين الواقع ورؤية الواقع تظهر عناصر أخرى ناسجة للصورة.

الاستنتاجات والتوصيات

اقتراباً من هذه المقاربة السيميائية لدمشق تبدو المدينة وسطاً يتكثف بالمعاني والدلالات، حيث الخاص يكاد يطغى على العام، إلا أنّ علاماتها المليئة استطاعت الربط بين الدال والمدلول ولاسيما فيما يتعلق بأيقوناتها التي تتوالد فيها العلامات فلكل دال مدلوله، ولم تتقطع السيرورة فرموزها التاريخية لا تزال قائمة، إلا أن المواطن هو الغائب الحاضر في تصميم المدينة؛ فبقدر ما يتكثف الرصيف بقدر ما يتكثف معنى المواطنة، وبقدر ما يتقلص حيزه بقدر ما تتقلص قيمة المواطنة، والرصيف مجال عام يستوعب المواطن في لحظة من لحظات وجوده الاجتماعي، ولكن مصمم المدينة وتجاوزات القوانين كرَّسا النفعي ولم يراعيا ما هو عام، فالمنطق الأداتي هو الذي يتصرف في المجال المديني على حساب الجمال والثقافي والوجودي وحتى الحضاري، وضمن هذه الفعالية الأداتية والتقنية يسند إلى السيارة ما لا يسند إلى البشر في الحيز العام.

أما الإشهار ولأنه يولد من رحم الصورة والرمز فإنه يندرج ضمن الممارسة الثقافية والاجتماعية والمستهلك للمستوى الاقتصادي والمعتمد على اللغة في استعماله للمتخيل الرمزي السيميائي، حيث يعْمَد المُعلن إلى السيطرة على الذات التي تعيش المكبوت في حاجاتها اليومية، من دون أن يصرح بالغرض الأساسي من العرض، وعلى وجه الخصوص إن الخطاب الإعلاني يتميز بخصوصيات تجعله يختلف عن غيره، فهو خطاب ذو سيادة يرتبط بالسلطة والمال ويوظفها للإقناع، كما يفتقد الإشهار للمستوى الخاص بالتسنين الأيقوني بحسب (إيكو) والذي يعني القدرة على تحويل الدال اللفظي إلى دال بصري، كما يفتقد أيضا المستوى الثالث من التسنييات والذي يعود إلى حقل البلاغة ويتعلق

بإعطاء صورة بلاغية من خلال حامل من طبيعة لسانية يقابله حامل بصري مكتفٍ ببناءٍ خاص تتضافر مكوناته التعبيرية بقصد تبليغ رسالة محددة للتأثير بكل الوسائل لغاية الاستهلاك، وتحقيق أرباح سريعة وسهلة، من خلال تحميل الرسالة الإعلانية صورا وأشكالاً ورموزاً تتجاوز أحيانا الغايات التجارية لتطمس قيما حضارية وجمالية أصيلة وتعمم أنماطا حياتية مشوهة وسيئة التهجين.

References:

1. Abrir, Basheer, Image Rhetoric and Effectiveness in Publicity Discourse, Issue 411, Journal of Literary Position: Damascus, Arab Writers Union, 2005.
2. Ibn Khaldoun, Introduction, History of the mark, Beirut: House of the Lebanese Book. 1956.
3. Al Bahesh, Raja Ahmed Hadi. The Propaganda Discourse. Baghdad: University of Baghdad: College of Arts, Department of Information 1998.
4. Al-Andalusi, Abu Muhammad Ali bin Ahmed Hazm, the pigeon collar in familiarity and thousands, Damascus: Dar Al-Bayan. 2002.
5. Aiko, Umberto, The Semiotics of Optical Formats, Translated by: Mohamed Tohami Ammari et al., Lattakia: Dar al-Hiwar. 2010.
6. Bart, Roland, Language Hissing, Translation: Monther Ayachi, Aleppo: Center for Development and Civilization. 1999.
7. Benkrad, Said, Meaning between Pluralism and Interpretation, Issue 13, Morocco: Alamat Magazine, Morocco, 2000.
8. Benkrad, Said, Mission of Propaganda-Generation and Interpretation, No. 5, Morocco: Journal of Signs, Morocco, 1995.
9. Pinkrad, Said, semiotics concepts and applications, i 2, Lattakia: Dar al-Hiwar. 2000.
10. Bouazizi, Social Psychology, Beirut: Center for Arab Unity Studies, 2010.
Chandler, Daniel, Foundations of Semiotics, Translation: Talal Wahba, Beirut: Arab Organization for Translation, 2008.
12. Giro, Pierre, Signal Psychology, Translation: Munther Ayashi, Damascus: Dar Tlass for Study and Publishing, 1992.
13. Hamdaoui, Jamil, Semiotics of the advertising image, Al-Methqaf Magazine, Sharjah, No. 653, 2011.
14. Jaen, Mohamed, Iconography and Communication, Research Paper presented at the 5th International Forum (Semiotics and Literary Text), Algeria.
15. Dutti, Edmond, Magic and Religion in North Africa, Translated by: Farid Ezzahi, Morocco: Marshm Publications. 2008.
16. Schulz, Robert, Semiotics and Interpretation, Translation: Said Al-Ghanmi, Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing. 1994.
17. Tohme, Anton, Simology and Literature - A Simeological Approach to the Contemporary Modern Story, Third Issue, Kuwait: World of Thought Magazine, National Council for Culture, Arts and Letters, 1996.
18. Al-Abed, Abdul Majeed, Communication and Effective Communication in Publicity, Elaf Blog, 4,7, 2010

19. Abdel-Rahman, Abdel-Hadi, Game of Coding - Studies in Symbols, Language and Myth, Beirut: The Arab Propagation Foundation. 2008.

20. Grafi, Mohammed, Reading in Visual Simology, Issue 1, Kuwait: Journal of the World of Thought, 2002.
21. Ferdinand, Saussure du, Lectures in Public Linguistics, Translated by: Yousef Ghazi and Majid Al-Nasr, Beirut: Dar Noman. 1884.
22. Qarni, Izzat, photo in architecture, Issue 85, Kuwait: Arts Magazine, Kuwait. 2008.
23. Kohail, Saida, A Semiotic Approach in the Translation of Publicity Speech, Number 456, Damascus: Journal of Literary Position.
24. Lutman, Uri, Introduction to Film Semiotics, Damascus,: Ministry of Culture Publications. 2001.
25. Ludal, Gerardo, Semiotics or Theory of Marks, Translation: Abdel Rahman Bouali, Lattakia: Dar al-Hiwar. 2004.
26. Lefevre, Henry, Tongue and Society, Translation: Mustafa Saleh, Damascus: Ministry of Culture Publications. 1983.
27. A group of authors, semiotics and philosophy of language, translation: Ahmed al-Sumai, Beirut: Arab Organization for Translation. 2005.
28. A group of authors, semantics, translation: Munther Ayashi, Damascus: Dar Tlass for study and publication, 1992.
29. Dictionary of basic terms in the science of marking, Translation: Shaker Abdel Hamid, Cairo: Academy of Arts. 2002.
30. Maalouf, Louis, Upholstered students, Beirut: House of the Orient. 1960.
31. Al-Mousa, Khalil, Origination and Interpretation, Issue 456, Al-Mawkif Al-Adabi Magazine, Damascus, Arab Writers Union, Issue 456, April 2009.
1. Georges Mounin ,*Dictionaries de la lingusistique*, pu.7,paris.
2. Safwan AlAssaf, Methods of Predicting Housing Requirements for Local Housing Policy in Syria , Beirut Arab University Publication, 1995,137-155.
3. Georges Mounin,Introduction a *LaSemiologie-Ed.de Minuit-paris-1970.*
4. Pierce . c.s : collected papers ,vol .1 *principles of philosophy*, the belkanp press of Harvard university ,Cambridge ,maachusett,1965.